حالتنا الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا

" اقتطفنا هذا البحث القيم من كتاب "مبادئ في السياسة المصرية" الذى ظهر أخيرا لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا ، وقد حوى الكتاب من الآراء الاجتماعية القيمة ما فيه العلاج الناجع لما يثابنا من علل وأمراض .

وسعادة المؤلف من الاجتماعيين القلائل الذين لمسوا موطن الداء وحق لهم أن يرشدوا إلى وسائل العلاج ، فيرى سعادته أن العدل والعلم هما أساس كل حرية ، ومنبع أسباب الإصلاح ، وان كرامة الأمة وحريتها تقومان على النهوض بالشعب نهضة سليمة ، وحمايته من الأمراض الفتاكة ، والضعف المزرى ، ولهذا يجب أن تتضامن وتتضافر في سبيل وضع مبادئ ثابتة ناضجة ، تسعى ويسعى خلفاؤنا من بعدنا إلى تحقيقها وجنى ثمارها " .

المحرر

الأزياء :

نحن نطالب بأن تكون لنا شخصية ، وأن يكون لنا طابع قومى . ومن عوامل الشخصية والطابع القومى أن يكون للبلد زى عام يعبر عن شخصيته الظاهرة ، لا أن تكون خليطا من لباس يشعر النفس بما فى هذا البلد من تفكك وانفصام ، ولا يكون رمزا لمظهر الوحدة التى تتراءى لنا عند الأمم الراقية . واذا سعينا فى تضامن أفراد الشعب وتوحيد ثقافتهم حتى يكونوا نتاج بوتقة واحدة تحس بإحساس واحد ، وتتذوق الأمور على نحو واحد ، وتتركز فيهم الوحدة الوطنية بمعانيها ومظاهرها المتعددة ، فإن من الواجب علينا أن نمثل هذه الوحدة أيضا فى الأزياء .

ليس الأمر مقصورا على أن أزياءنا مختلفة مجرد اختلاف ، ولكنها بوجه عام غير مقبولة بل غير معقولة . أفلا ترى عند ما يقع بصرك على جمهور من الناس مارين أنهم يكادون يكونون من أمم مختلفة ؟ ! فهناك من يرتدى الملابس الأفرنجية ، ومن يرتدى الجبة والقفطان ، ومن يضع عليها شالا من الكشمير أو غيره ، ومن يرتدى الجلباب ، ومن يرتدى غير ذلك من أشياء أخرى كثيرة . أفلا تتفق معى على أن ذلك الذى يرتدى الجبة والقفطان مثلا إنما يعرقل بلباسه هذا نشاطه وهمته ، وإن رجلا يحمل شالا وجبة وقفطانا وحزاما إنما هو فى الحقيقة كمن يرتدى أغطية السرير وقت نومه ؟ . إنما نحتاج فى زمننا هذا إلى عمل ، والعمل

يتطلب النشاط . فهل يقوم العمل والنشاط من رجل هذا لباسه ؟ ، وجب عليه أن يسير بخطا وسعة ، وأن يركض عند الحاجة ، ووجب عليه أن يركب الخيل والدراجات عند اللزوم ، ووجب عليه أن يكون يقظا منتبها . فوضع هذه الألبسة المتنوعة الثقيلة فى وقت نحن فى حاجة فيه إلى النشاط . ألا يجعل الشخص المتحف بالشال ، والمرتدى هذا النوع من الملابس فى غفلة من العمل لا يبغى حركا ، يؤثر النوم والتثاؤب عوض عن السعى والقفز والحركة النشيطة الدائبة .

قلت فيما سبق : إن الأمة يجب أن تكون رياضية قوية . فهل يتفق بث الرياضة وتنفيذها بين الناس وهذا النوع من اللباس الذى يشل حركة الشاب ، ويضعف حركة الرجل ؟ ! .

هذا مع العلم بأنه لا يجوز أن نقف فى زوع الناس أن نوع الأزياء يمت بشىء إلى الأمور الدينية . ولم يكن فى زمن الأنبياء ولا أرسل هذا النوع الذى نرتديه . فيجب علينا إذن ألا نتقلد بالتقاليد الضارة ، وأن نعرف أننا أحرار فى تخير اللباس الذى يلائم بلادنا ، والزى الذى يتفق مع النشاط والذوق السليم .

وإن أردت صراحة أقوى من هذا قلت لك : إن هذا الزى المركب من الجبة والقفطان والحزام والشال ، إنما هو زى الخمول والكسل ، زى عدم الحركة ، زى الضعف والاستكانة ، زى يتعارض والرقى المطلوب للبلاد والقوة التى نطلبها لشبابنا ورجالنا ! .

وأضيف أن هذا الزى الذى طغى وانتشر بين المدنيين ورجال الدين على السواء ، قد جعل من بعضنا أناسا يرتكبون المحرمات ويتناولون المنكرات علنا ، ويفهم الناس فيهم أنهم رجال دين ، فتتزعزع عقيدة الناس فى استقامة رجال الدين . وكان الأولى والأجدر أن نحتفظ برجال الدين العاملين ، وأن نصونهم حتى لا يشترك معهم فى الزى من يقترفون الموبقات ، ويرتكبون المحرمات ، وبهذا نبعدهم عن مسالك التهم ومظان الشبهات .

لهذا كان الشباب على حق فى أن يطرحوا هذا الزى . ولقد سعى كثير من الأزهريين — كما سعى من قبل شباب دار العلوم — فى أن يلبسوا لباسا يتفق وما يتطلبه الإنسان من سرعة ونشاط وعزم وقوة ، والدين الحنيف يدعو إلى التمسك بهذه الفضائل .

وأعتقد أن على القائمين بأمرنا أن يولوا هذه الفكرة عنايتهم ، وأن يسعوا فى تذكير الناس بأن واجب القوة والعمل يقضى بنبذ هذا الزى ، وهو مدعاة الخمول والكسل .

إنى لا أستسيغ فى أمة واحدة أن يكون فيها هذا التعدد من الأزياء ، فما المعنى فى أن أمة واحدة تنقسم فى زيها إلى نوع يسمونه بلديا ، والآخر بدويا ؟ . وكما يجب أن يتساوى الناس

فى الحقوق والواجبات الوطنية من وظائف وتجنيد وغيره ، كذلك يجب أن يمحى هذا الفارق ، وألا يسمح بوجوده فى هذا البلد الذى يجب أن يغذينا بماء واحد ، وبتعليم واحد ، وتربية واحدة ، وآمال واحدة ، وآلام واحدة . يجب أن يكون حالنا فى أزيائنا متحدا ، كما يجب أن تتحد فى ظروف حياتنا .

لم لا يكون للدهماء نوع من اللباس قليل الكلفة ، ينم عن شىء من النشاط وفيه شىء من الحياء ؟ كالسروال الذى يرتديه بعض أهالى الاسكندرية ، وهو يؤدى أكثر مما يؤديه الجلباب من ستر ونشاط ، ويحفظ قيمة الإنسان من حيث هو إنسان ، ويمكن أن يكون من نفس القماش والقيمة التى يتطلبها الجلباب .

نحن لا نريد زخرفا ، ولا نريد تكليف الدهماء بما لا يطيقون ، وإنما نريد شيئا ، فيه نوع من الحياء وباعث على النشاط والعمل والسرعة .

لقد خلق الله الإنسان بساقين مستقلتين تعمل كل واحدة منهما على حدة ؛ فلم لا يكون اللباس مناسبا لهذا الخلق ، وبهذا يجرى صاحبه كما يشاء ، ويتسلق الأشجار كما يشاء ، ويركب العربات كما يشاء . لا أن يكون عرضة لأن يعلق جلبابه أو قفطانه أو جبته فى عربة أو سيارة ، أو فى قطار السكك الحديدية أو الترام مثلا ، فتضيع حياته ويذبل وجوده ! .

قد يظن البعض أنى أحض على تقليد الفرنجة ، وهذا خطأ فاضح ، إنما الذى أحض عليه هو اتحادنا فى الملبس بما يتفق وطبيعة الانسان ، وطبيعة البلد والواجبات التى تتطلبها السرعة ، ويتطلبها العمل ويتطلبها النشاط .

كما قد يظن البعض أنى أريد دكتاتورية تلزم الناس باتخاذ لباس مخصوص . وحاشا أن يتجه فكرى إلى هذا النوع من الاستبداد ، أو إلى ما يسمى بالاستبداد ، ولو كان موجها إلى الخير . فإنى لا أرى أن الإصلاح فى مثل هذا الأمر يكون بنظام وقوانين ، وإنما الذى أريده هو نشر الدعاية . وإرشاد الناس إلى ما فيه مصلحة المجموع ، وتسهيل الأمور لإخراج هذه الفكرة إلى حيز الوجود . فمتى استساغ الناس هذه الفكرة حاكمين ومحكومين بفضل الإرشاد والتشجيع أمكن الوصول إلى توحيد الزى ، توحيدا يتفق وحاجاتنا اليومية ، ويحفظ كرامة الإنسان .

* * *

وأمر لباس الرأس يحتاج إلى تفكير . ولا يعارضنا أحد فى أن هذا الطربوش الذى نلبسه أو العمامة التى نلبسها ، ليسا من صنع أجدادنا الأولين ، وإنما هما دخيلان . قيل : إنهما طعم الإنسان بطابع قومى ، وصارا لنا لباسا قوميا . وإنى لا أدرى إذا كان لباس الرأس هذا قد اعتبرناه لباسا قوميا ، وهو غير مفيد بل ضار ؛ أفلا يكون من الأولى واللائق بنا أن نسعى فى تحسين كل تقليد ضار بما نراه متفقا مع حالة بلادنا وما يرتضيه أهل الزمن من سرعة ونشاط ؟

ما الذى نراه مفيــدا فى الطربوش وهو لا ينفع صيفا ولا شتاء ؟. فى الصيف لا يمنع وهج الشمس ، ولا الأخطار المحدقة بالضعفاء من قيظ الصيف وشدة الحر ؟

ألا تأخذك الرأفة والرحمة بهذا الجندى الذى يقف ولا حراك به وسط ميدان من الميادين العامة ، تضربه أشعة الشمس فى وجهه وعنقه ؟! ألا ترق لحاله وهو على هــذا الوضع المعذب المضنى ؟.

ألا تأخذك الشفقة بهؤلاء الجنود الذين يقومون بمناورات عسكرية فى وسط الصحراء؟، وهم يلبسون هذا الطربوش فى الصيف، يسيل عرقهم على جوانب رءوسهم، حتى اضطرت السلطة العسكرية إلى أن تضيف عليه شيئا آخر، يقيهم الأذى من أشعة الشمس ، فصار على رأسهم ضغثا على إبالة .

ألا تأخذك الرحمة برجل كهل ضعيف ، أو طفــل صغير ، يمشى فى الطرقات وقت الصيف ، وحرارة الشمس تحرقه بأشعتها ، أو تسخن صوف الطربوش فتسبب أمراضا ، آباء الأطفال أدرى بها ؟.

وقل لى بربك ما فائدة هذه العمامة الثقيلة الحمل ، السريعة التفكك؟، وهى شاشة تلف وتنفك بأقل حركة، تحيط بهذا الطربوش المغربى الثقيل، وطالما آذت بحرارتها أولئك الذين يحملونها ، ولا يرى العقل السليم من حملها أية فائدة .

أو لا تأخذك الرحمة بأولئك الفلاحين الذين يقضون طول يومهم ، يشتغلون فى الحقل أو تحت وهج الشمس، ولا عاصم لهم إلا هذه "الطاقية" التى لا تفيدهم شيئا، بل هى تحرق وجوههم وجلودهم ،وكان يمكن أن نرشدهم إلى لباس رأس آخر يصنع من قماش رخيص يصد عنهم وعن جوانب وجوههم وأقفيتهم تلك الحرارة الشديدة، التى لا يدرك قوتها إلا من عاناها !.

وفى الشتاء كيف يمنع الطربوش والعمامة والطاقية قطرات الماء ؟، ألم تلاحظ إذا أنزلت السماء رذاذا من مطر أن الناس يصبحون فى حالة توجب السخرية والاشفاق ، فكلهم إما أن يقفــوا داخل الأماكن أو أن يضعوا على رءوسهم أقمشة أو ورقا مما لا يصح أن يكون مظهرا لأمة محترمة !.

كل هذا النقص نعانيه ولا نفكر فى تلافيه ، ونقول إنها تقاليد يجب أن تحترم ، وأن ليس فى الإمكان أبدع ممــا كان ونسى أولئك الناقدين أن الزمن يتطور ، وأن الإنسان يسعى دائما فى راحة ذاته ، وفى تلبية ما يجب عليه عمله ، متفق مع سعادته وهناءته ، ورفع الضرر عن نفسه . ومن دواعى هذا التطور أن نرقى فى أزيائنا وملابسنا ، كما نرقى فى علومنا وفنوننا ، وكما نرقى فى إحساسنا وآمالنا وأذواقنا ، فالرقى عام فى كل فرع من فروع الحياة ، ويجب أن نسايره ، ونأخذ حظنا من هذا الوجود وما فيه من همة وعزم .

الأوسمة وألقاب الشرف :

لما كنت وزيرا للمعارف سنة ١٩٣٦ زارنى أحد أصدقائى الأجانب يزف إلىّ بشرى قرب الإنعام على بوسام رفيع من دولة أجنبية صديقة ، بناء على طلب ممثلها فى مصر . وقد أتى إلى مسرعا بعد أن علم من الممثل نفسه بهذا النبأ السار .

ولا أكتم — غير فخور — أنى أجبت الرسول بشكره على حسن عواطفه ، ورجوته أن يقوم عنى بتقديم عبارات الحمد لممثل الدولة الصديقة ، واعتذارى له عن عدم قبول هذا الوسام . فدهش الصديق : كيف أرفضه وغيرى قد سعى سعى المجد ثلاث سنوات متواليات حتى ظفر بنيله ؟ ، وظل يناقشنى طويلا لعلى اقبل هذا المنح ، وقد عرض علىّ عرضا . ولما وجد منى إصرارا تركنى آسفا .

قد يجوز أن يرى البعض فى عملى هذا شذوذا عن المألوف ، وخاصة إذا كان الوسام من دولة صديقة محترمة . لكن حجتى أمام نفسى كانت بسيطة ، ذلك أن لوزارة المعارف مع بعض الدول صلات علمية وفنية ومادية ، فكان من واجبى — وأنا أمين على هذه الوزارة — أن أحس باستقلالى نحو الغير استقلالا ترضاه النفس ، ولا يكون لأحد علىّ يد ، يجوز أن تفسر فى تصرفاتى العامة بما أنا فى غنى عنه .

على أنى لا أفهم فى الحقيقة معنى للأوسمة والألقاب الأجنبية فى كثير من الأحوال . فإذا كان الوسام تقديرا لشخص المنعم عليه ، وجب أن يصدر هذا التقدير عن بلده ، وعن خدمات قام بها نحو وطنه ، وقد يفسر أحيانا سبب اسداء الوسام الأجنبى على غير ما يرجو المنعم عليه ، فيسيئ اليه بدل أن ينفعه .

وإذا كان من الجائز أن يكون لإعطاء وسام أجنبى معنى مستساغ ، أفلا يكون من أسمى المعانى أن يكتفى المنعم عليه بحمله والاتشاح به فى حفلات الدولة الأجنبية التى أسدته ؟ لا أن يطوف به مختالا فى الحفلات الرسمية الوطنية ، وقد تصل به الحال أن يؤثره على وسام وطنه ، وفى هذا مساس بالشعور القومى والكرامة الوطنية !

أفهم قيمة الأوسمة الأجنبية إذا دلت على تقدير علمى أو فنى ؛ فليس للعلوم والفنون وطن ، وإنما هى ملك الإنسانية جمعاء . أما أوسمة الوجاهة وألقابها فهى لا تدل على شىء سوى اعتزاز قد يكون وليد الزلفى ، وقد يكون على حساب المصلحة الوطنية ؛ ولهذا فإنى لا أفهم لها معنى يرفع صاحبها .

يظهر أن الأوسمة الأجنبية — ولها كل التقدير فى أوطانها — قد أسرفت حكوماتها فى منحها فى البلاد الضعيفة ، حتى ليخيل للإنسان أنها أصبحت خارج بلادها كما كانوا يقولون عن الشهادات العلمية الأجنبية المعدة للتصدير ولا يعمل بها إلا فى الخارج لمحض

الدعاية واكتساب محبة المستضعفين ، وما أسهل مفاخرة الضعيف بعطف القوى عليه وحدبه ! . ولهذا كان من النادر أن تفكر أمة ضعيفة فى إعطاء أوسمتها لكبار رجال دولة قوية ، عدا بعض الموظفين منهم لديها . ولا أظن مع هذا أن هؤلاء يرصعون بها صدورهم فى أعيادهم الوطنية أو فى بلادهم ، ويفاخرون بها كما نفعل نحن هنا فى أقدس محفل وطنى أو دينى للبلاد .

ألا يجدر بنا أن نضع حدا لهذه الحال المؤلمة ، حتى لا نرى من بين المصريين "كوماندورا" أو "بارونا" أو "كونتا" أو "سيرا" وأن نشرع للناس ما نتقى به هذا التهافت على الأوسمة الأجنبية . فإن لم نستطع فيجب على الأقل أن نضع لها حدودا وقيودا ، نصون بها البلاد من أن يضعها عاشقو الأوسمة والألقاب من مواطنينا أمام الأمر الواقع !!

أفهم أن يكون من المباح أن يتبادل رؤساء الدول الأوسمة ، وأن يغدقوها كما يشاءون على رجال السلك السياسى ، أو رجال البلاط فى زيارات رسمية ، قضى بها العرف بين عاهلين ، تقديرا لود متبادل ، وصداقة بين دولتين ، والأوسمة فى هذا الشأن لا تدل على أكثر من هذا ، ولكن من غير المفهوم أن يعطى وسام أو لقب أجنبى لمواطن أو نائب أو وزير أو موظف لا علاقة له بالمجاملات الدولية ، ولا شأن له إلا فى خدمة بلاده ، فإن خدمها كان له منها التقدير والتشريف ، وإن لم تعترف له بشىء من هذا كان من غير المعقول أن يلتمس هذا الشرف من يد أجنبية .

الآن وقد انتهيت من أمر الأوسمة الأجنبية ، أرانى فى حاجة للتكلم عن الأوسمة والألقاب المصرية. قد يرى البعض المثل العليا فى إلغاء الرتب والنياشين ، وفى أن الناس سواسية ، لافضل لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح . وأنه قد مضى على مصر فترات من الزمن كانت فيها علامات الشرف تلوق جرافا ، حتى ضجر العقلاء ، وانحطت علامات الشرف عن منزلة الشرف . لكن من العدل أن نقول : إن التغافل عن إسداء الحق لذويه وعن تقدير عمل العاملين لا ينهض دليلا على فساد الحق فى ذاته .

فمن الحق أن ينال المحسن جزاءه والاعتراف بفضله ، كما ينال المسيء عقابه ، ولهذا شرعت الجنة والنار . وإذا كان هذا حقا فتقدير عمل العاملين من أكبر البواعث على حفز الهمم وشحذ العزائم فى سبيل المصلحة العامة والتفانى فى خدمتها .

وليست مصر فى هذا المضمار بأقل حاجة فى تقدير العاملين من أمم أخرى قوية عريقة ، ما لبثت تنظر إلى الأوسمة نظرة احترام وإجلال ، من ظفر من أبنائها بشىء منها كان كمن امتلك الدنيا بأسرها .

ألم تر في الحروب الطاحنة كيف يرنو الجندي والمواطن إلى علامات شرف تعيد إليه سروره وقواه ، وتخفف من مصابه وبلواه ؟ فماذا ترى من شرف يقدمه القائد أو رئيس الدولة من وسام لجندي قام بعمل عظيم ، أو لمواطن بذل ماله أو فكره أو علمه أو روحه في خدمة بلاده خدمة رائعة ؟.

أظنك تتفق معي على أن تقدير الرجال واجب وطني يبقى ما بقي الإنسان إنسانا . ولا يصير هذا العمل الوطني إلا العبث به والظلم فيه ، فإن الظلم مفسدة للاتجاهات الإنسانية ، ومضيعة لجهودها وأمنها وتفكيرها ، بل وطنيتها . ووجود الظلم في هذا كله لا ينهض دليلا على عدم تقدير الجهود المجدية في ذاتها ، فالذنب ليس على العمل في ذاته ، وإنما هو ذنب العبث فيه والظلم في تقديره . فمن الماء كل شيء حي ، ومع ذلك فقد يميت الماء بما يحمله من أكدار وما يحويه من مهلكات . وإذا كان من حق الإنسان وواجبه أن يعيش للمعاني السامية ، كان تقدير الوطن له من أسمى المعاني وأجداها .

لكني لست من المؤمنين بالألقاب ولا بأزيائها . ذلك لأن بلادنا تجنح إلى الديمقراطية الحقة . وديننا الحنيف يحض عليها . وليست هذه الألقاب ولا أزياؤها من ضرورات الحياة في هذه البلاد ، ولا من أسباب حفز الهمم بين أبنائها إلى ما فيه الخير والنفع . وأرى هذا أن تحذف الألقاب، وأن يكتفى في تقدير الرجال العاملين بالأوسمة المختلفة. وقد سارت على هذا النهج سائر البلاد شرقية وكثير من البلاد الأخرى . وبذلك نستغني عن الملابس الرسمية المزركشة ، فهي مرهقة في تكاليفها ، غير جميلة في مظهرها ، تضايق لابسها صيفا وشتاء ، ولا معنى — عند غير رجال العسكرية — لهذه السيوف الذهبية التي لا ندري مبررا لوجودها ، ونحن في زمن يحتاج إلى البساطة والقصد في النفقات ، والعالم الآن يسعى في تخفيفها .

لهذا كله أرى أن تكون "البدلة السهرة" المخصصة الآن لغير الموظفين هي اللباس الرسمي نفسه للموظفين وغيرهم على السواء .

كما أرجو ألا يكون لحضرات العلماء وأهل الدين هذا اللباس المموه بالذهب ، فهم أهل تقشف وورع وتقوى . وأولى بهم وأجدر أن يعودوا إلى لباسهم البسيط مع إشارة تميز عما حازوه من أوسمة أو درجات علمية .

هذا ما أرجوه ، وأرجو أن يسمح الزمن بتحقيقه .

*
* *

لقد أردنا أن نعدد أسباب النقص في حياتنا الاجتماعية فإذا بنا نتعذر علينا أن نحصيها ، وها قد ذكرنا بعضا منها ، وفي كثير مما لا يخفى على القادرين أمر إصلاح الحالة الاجتماعية في هذا البلد .

فمن أمراضنا الاجتماعية: البدع، والتذلل فى الأغانى والموسيق، والفوضى فى الإحسان، وغير ذلك مما يطول شرحه .

البدع وهى كثيرة منها : الزار ، وهو وصمة عار فى هـذه الأمة ورثناها عن خرافات فرعونية يجب أن تطرحها أمة تحترم نفسها فى هذا القرن العشرين ويظهر أن القوابين التى اتبعت فى هذه الحال لم نرلها صدى فى كثير من عقول عامة هذا الشعب .

والواجب أن يقتنع العامة بفساد هـذا النوع من الخرافات بل لا أبالغ إذا قلت : إن من وكل إليهم نفاذ هذه التشريعات من رجال الشرطة يعتقدون صحة هذه الخرافة ، ولا أمل فى تطهير الأمة من هـذه الأدران إلا بالتعليم ، والاستمرار فى الوعظ والإرشاد ، بطريقة حكيمة تتسرب إلى نفوس الناس وتتشبع بها .

ومنها أرباب الطرق، أولئك الذين يطوفون بالبلاد، ويؤثرون فى عامة الشعب تأثيرا ، الله أعلم بمداه . أريد أن أفهم ما هى الفائدة للدين من وجود هـذا النوع ؟ وأية خدمة إنسانية أو دينية قام بها هؤلاء الناس للشعب ؟ سوى ابتزاز ماله على غير فائدة أو جدوى ، وسوى تضليله وفسح المجال للخرافات ، وإلى تقسيم هذه الأمة إلى شيع وأحزاب مذهبية ، لا نعرف غايتها ، ولا ندرى ما الفائدة منها ؟ وهل قام فى روع المنصف أن أولئك القائمين بأمور الطرق يخدمون أنفسهم أو بلادهم ؟ وهـل اقتنع الناس بأن هؤلاء القائمين هم أطهر الناس نفسا ، وأدناهم إلى الدين من غيرهم ؟ أم هى صناعة لمن لا يمكنهم أن يشتـغلوا لهم فى هذه الحياة سبيلا ، وأن يرتزقوا من عرق جبينهم والكفاح والعمل بالكفاية التى يتطلبها العصر الحاضر ؟

إننا نريد شعبا قائما على الفهم الصحيح والعمـل الشريف الذى يرتفع به الوطن ، وينتقل به النسل ، حتى يصبح على استعداد لأن يكافح فى الدنيا ، ويتزود للآخرة بالطرق المشروعة التى يقبلها العقل ، ويأمر بها الدين الصحيح ، لا أن نخلق من البطالة وعدم الحمة والكفاية جماعات ، لاهم لهم إلا الكسب من الحيـاة السلبية . وإن أدى هـذا إلى وصم الأمة بمالا يليق بها أمام الله، وأمام الناس الذين يفهمون معنى الحياة ومعنى العمل ومعنى العلم.

ومنها مظاهر الأفراح والأتراح ، اذ لا يليق بأمة كأمتنا فى الوقت الحاضر أن يسرف أبناؤها فى مسائل الأفراح ، والإنفاق عليها بما تنوء به ثرواتهم ، لا لغرض سوى الظهور بمظهر الثروة . ولله يعلم كم تكلفهم هذه المظـاهر الخلابة التى تظهر عواقبها الوخيمة بعـد الصحوة من غفوة الفرح المزعوم . ولم لا يبدأ أغنياؤنا بأن يكونوا مثلا صالحـا فى الاعتدال وعدم الإسراف حتى يقتدى بهم رقيقو الحال ؟ !

وكذلك الحال فى أتراحنا : نرى مظاهر البذخ والإسراف، وعرض الموائد على المعزين، كما نرى الصياح ولطم الخدود خلف الموتى مما يؤذى كل ذى عقل سليم ، ويجعلنا أضحوكة أمام الزائرين يقيسون بها درجة عقولنا ، ووضعنا الحقيق فى مدارج المدنية والحضارة .

الأغانى والموسيقى :

ومن آثامنا الاجتماعية أيضا تلك الأغانى وهذه الموسيقى . وهى فى طبيعتها تعبر عن أسمى شعور للإنسان الكامل ، وترقى إحساسه وتهذب نفسه ، وتعبر عن كوامن روحه تعبيرا هو أبلغ بيانا من النطق ، وقد ترقى بالناس إلى مدارج الجمال والفن الجميل ، وتدفعهم إلى تهذيب نفوسهم ، ورقة عواطفهم ، و إرهاف حواسهم .

إن هذه المعانى الجميلة التى يوحيها الغناء والموسيقى قد انقلبت فى بلادنا إلى عكس ما يريده الإنسان الكامل ؛ فلا نرى إلا غناء مخنثا ، يساعد على انحطاط النفس وموت الإحساس والتبذل فى المعانى ، فوق أنه يخلق اليأس والمذلة والجبن وخور العزيمة . ألا يحزنك أن ترى الرجل المغنى يتصنع التخنث والتشبه بالنساء ؟ ! و إعلان الحزن واليأس والعبودية ، حتى لكأنك لا ترى أمامك رجلا يرتفع بعاطفتك وخيالك إلى مراقى السمو والخيال الخصيب ، ويشعرك بما تعبر به النفس الراقية من عواطف سامية . و إنما ينزل بك إلى الدرك الأسفل ، من مهاوى الرذيلة والضلال والفساد !

ومن الغريب أن هذا النوع المنحط من الغناء هو الذى يرضى جمهرة السامعين ، ويدفع بهم إلى الصياح والتأوه والتصفيق ، حتى عف الذين يفهمون معنى الغناء والموسيقى عن سماعهما ، وحتى أصبح فريق كبير من المتعلمين يلجأون إلى سماع الأغانى الأجنبية ، يتزودون فيها كثيرا من معنى الحياة ومعنى دقة الإحساس ورقيه .

فوضى الإحسان :

وهناك فوضى الإحسان ، ويجدر بالقائمين على أمر حياتنا الاجتماعية أن يوجهوا الإحسان توجيها سليما صحيحا ؛ حتى لا يضن أولو الخير بمالهم ، وهم يريدون الخير . فإن كثيرا من المحسنين — وأقصد متوسطى الحال بنوع خاص — يودون لو تقربوا إلى الله بقليل من فضلة خيراتهم، ولكنهم فى كثير من الأحوال لا يعلمون إن كان ما يعطونه يصل إلى الخير أو أنه يصل إلى أيد غير طاهرة . لهذا كان من الواجب أن نفكر فى إيجاد نظام يقطع بأن فكرة الخير تصل إلى تحقيق الخير ، حتى يطمئن الناس إلى ما يجودون به ، وأن تضرب الحكومة بيد قوية على أولئك الذين يتغلغلون بين أفراد الشعب تحت أسماء جمعيات

متنوعة ، أو مشاريع مجهولة لا حقيقة لها فى الواقع . فإن هذا كله مما يساعد على اتساع الخير وإيجاد الوسائل الفعالة لتخفيف ويلات من يستحقون المعونة والإحسان . وأن تراقب جميع الجمعيات الخيرية مراقبة دقيقة مستمرة ، حتى يعلم الناس جميعا أن البؤساء قد أخذوا قسطهم الكامل من خير المحسنين و برالموسرين . ويدخل فى هـذه الجمعيات تلك التى تعرض على الناس أوراق " اليانصيب " وغير ذلك من وسائل ابتزاز أموال الناس ، الذين لا يعرفون من أمرها شيئا .

هذا مجمل صغير وأمثلة قصيرة محدودة ، فى باب من أبواب الإصلاح وهى كثيرة متنوعة ، نرجو أن يحقق ولاة الأمور آمالنا فيها . واعتقادنا أن خير وسيلة لتهذيب أخلاقنا وعاداتنا ، ومنع الخرافات ورفع مستوى غنائنا وموسيقانا ونشر التعليم نشرا عاما على الطـريقة التى ارتأيناها فى باب التعليم ، وفيما ذكرناه هنا من بعض الوسائل لإصـلاح حالتنا الاجتماعية . فإن رفع مستوانا الثقافى والخلقى من أهم الأسباب لتهذيب ذوقنا وتوجيه نفوسنا إلى حب الخير والطموح والمجد . وإن الأمم لم تصل إلى إصـلاح شأنها فى أمر العـادات والتقاليد والذوق إلا بفضل التعليم الصحيح ، القائم على الأخلاق السليمة . والله يهدينا سواء السبيل .

محمد على علوبه

— قال الإمام على : الصدقة دواء منجح وأعمال العباد فى عاجلهم نصب أعينهم فى آجلهم .

— إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره و إذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

— خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم و إن عشتم حنوا إليكم .